

نظرة شمولية لكتاب تعليم اللغة العربية العامية من وضع الأستاذة ماريكا شباط جاكيش

بعد ثلاثين عاماً من تدريس اللهجة العامية الشامية، اكتشفتُ خلالها غناها كلفة لا كلهجة، من حيث مضامينها وتصلها وكمال فواعدها، فأخذتُ أستخرج كنوزها شيئاً فشيئاً بمتعة ودهشة. وعندما بدأتُ بوضع الكتاب، منذ عشر سنوات، ظننتُ أنني سأنتهي في غضون سنة أو سنتين، معتمدةً على ما جمعتُه من مسودات وشرطة كاسيت و من بعض المراجع النادرة، و طبعاً استفدتُ من أخطاء الطلاب المتكررة، فعلمت و تعلمت، و مع مرور الوقت استمرّ العمل حوالي عشر سنوات و لكن بشكل متقطع، بالتزامن مع ممارسة التعليم.

كان العمود الفقري للكتاب، الكتابة باللغة العربية، استناداً إلى ما تعلمتُه من طلابي رفضهم استعمال أيّ معجم بالعامية مكتوباً بالحروف اللاتينية، و بناء عليه شرعتُ بالتفتيش عن حركات موجودة هنا و هناك، و توصلتُ بالتشاور مع أساتذة آخرين إلى تشكيلٍ يفني باللفظ و الصوت. فاللفظ e يعمّ معظم الأصوات في مفردات العامية فلا ضير أن من اقتباس هذا الشكل - و تشكيل حروفها في أمكنتها مثلاً:

شرب- بنت- أم- حمر- شكل- يحط- حرف

أما بالنسبة إلى الصوت é فمن السهل إيجاد الشكل المتناظر مع الشكل i - أي - . مثلاً:

غرفه- عمل- حنفيّه- زعل- مدرسه- سمع- كلمه- كزه

أما الصوت è الطويل فكيف نكتبه؟ وجدتُ بأنه يمكن ببساطة كتابته بهذا الشكل إستناداً إلى é : -

التي هي كذلك ي- . مثلاً: بيت- حيط- جنينه- رميت- حكيت- غرفتين- الخير- خيمه.

بنفس المنطق و الطريقة و جدت شكلاً لل o الفصيرة، فيمكن أن يكون بكل بساطة متناظراً مع الشكل -

أي - و بنفس الطريقة كتبت الشكل o الطويلة أي -و . مثلاً: لون- موز- فوؤ- اکتوب- ادخول- شوب.

بهذا الصّدّد أَلَفْتُ 17 درساً لتعليم القراءة. إذ لا ضير أبداً من تعليم الأجانب اللهجة العامية بالحروف العربية، فبذلك نحافظ على اللغة العربية الفصحى ولا ننحوّ بعيداً عنها عندما نستخدم اللغة اللاتينية! و من جهة أخرى نساعد الطالب الذي يلمّ بالفصحى أن يعمّق معرفته باللغتين بطريقة غير مباشرة. ثمّ هي مدخلٌ أيضاً لتعلّم اللغة الفصحى فيما بعد و توفّر عليه نصف الطريق لممارسة الأخيرة. أقول هذا استناداً لخبرة عملية و لاسيما و أنّ القاسم المشترك بين اللغتين 95 ق من المفردات بينما تخصّص 5 ق من المفردات اللهجة العامية.

الآن نأتي إلى القسم الأساسي من الكتاب ألا و هو الجزء الثالث الذي يتمييز بطابع و ترتيب خاص. كان حجر الزاوية هو زمن المضارع في الفصحى لأنّه من ناحية هو الزمن الذي نمارسه بما يعادل 50ق من لغتنا اليومية، و من جهة أخرى هو مفيد للطالب الذي يلمّ قليلاً بالفصحى. و نكرّر في الفصول الأولى منه بأنّه لا يمكن استعمال المضارع في العامية إلا إذا سبّغه أولاً أدوات حمل مثل: لازم- مُمْكِن- يُمْكِن- بَدّ- فيّ- مَنشان- حتّى- ل- كان- صار- رح- عم- قَبَل ما- بَعْد ما- حَلَى- بَس- انشالله. و غيرها الكثير... مثلاً:

لازم نَحكي عَرَبِي مُنيح - يُمْكِن يَشْتَعِل حَيّاط - مُمْكِن تَعطيني فاموسك شوي؟ - انشالله/ بس ينزل مطر- صار يمشي لوحدّه- ما رح يرجعوا اليوم الولاد عالمدرسه - شو عم تعمل بالمكتبه؟

و الأهمّ بالذكر هو حالة فعل يتلوه فعل آخر. مثلاً: هيّ ما بتعرف تسبح.

ثانياً العبارات و هي كثيرة جداً. مثلاً: ما في بالعاذه أشرب فهو المسّا - جايه على بالي أعزم رفاتتي عالعدا- ممنوع توقّف فدّام المخفر - حلو نمضي النهار عالبحر.

بدون هذين الشرطين السابقيين لا نستعمل صيغة المضارع إلا نادراً. مثلاً في السؤال: تجي معي عالسينما؟ معظم الجمل التي وردت في الشرط الأول ترد أيضاً في الفصحى و لكن حُذِفَ منها حرف أن الناصبة. ففي الجملة الفصحى مثلاً: أحبُّ أن أقرأ كُتِبَ الفنّ . في العامية: أنا بحبّ أقرأ كُتِبَ الفنّ.

هُوَ يُفَضِّلُ أن يُسَافِرَ لوحدِهِ . في العامية: هُوَ يَفَضِّلُ يسافر لوحدِهِ.

و نلاحظ بوضوح أنّ هناك مفارقة بين صيغة المضارع في العامية و المصدر في بعض اللغات الأوربية. مثلاً: بَدّي نام ، لازم تَنْصِفَ البيت قبل ما تسافر.

أما الفعل الماضي و تصريفه فينبغي التركيز على اختلافاته عن الماضي بالفصحى.

ثمّ إنّ فعل الأمر الذي من حيث التصريف له ميزته في الفعل الثلاثي المُجرّد، إذ بدل أدخُل في الفصحى نلفظ ادخُول (إذ نُطيل الصوت في ع الفعل). مثال آخر: إفتح الباب! نقول في العامية افتاح الباب!

ثمّ يأتي فصل مضارع العامية و التدريب على تصريفه و يخاصّة أنّه مُسبّق بحرف الباء الذي له فواعده الثابتة بين اللفظين الساكن و المتحرّك.

نشير هنا إلى أن معظم الطلاب يظنون أن الحاضر في العامية هو نفسه في الفصحى. فيقول خطأ :
أخي بالغرفة يسمع الأخبار. و الصحيح أن يقول في العامية : أخي بالغرفة عم يسمع الأخبار .
كما أن هناك فسم آخر من الطلاب يظن بأن الزمن الحاضر يُمارس بحرف الباء المُسبقة فيقول:
أُمِّي بَتَحَضِّرُ الأكلَ بِالْمَطْبَخِ بدلاً من: أُمِّي عم تَحَضِّرُ الأكلَ بِالْمَطْبَخِ
إذن ما دور الفعل المضارع في العامية من حيث الزمن؟ دوره الأول المستقبل. مثال:
بعد المعهد برجع بالصيف على بلادي. الدور الثاني العادة : أنا بنام بكير و بفيق بكير.
و الخطأ الشائع عند الطلاب هو لبسه بالأداة رَح . بينما يجب أن نستخدم غالباً المضارع بـ في حال حتمية
حصول الفعل المسبق له. مثال: عطيني فاموسك برجع لك ياه بكرا. و في حالة جواب الشرط.
مثال: إذا نَجَحْتَ بَقَدِّمَ لَكَ هَدِيَّةً . و نستعمله أيضاً في السؤال: بَتَجِي مَعِي عَالسِينَمَا؟ و صحيح القول كما جاء
سابقاً:
تَجِي مَعِي عَالسِينَمَا؟

و نأتي إلى فصول المُستغفات و يليها الفعل الرباعي و بعد ذلك فصل الأرقام.
طبعاً يتضمّن الكتاب قواعد هامة ركيزتها مفردات تُعتبر مفاتيح لتراكيب جمل. مثلاً: خَلَى و هي في الفصحى

جعل

و الفرنسية faire faire . و التي في الواقع ، حاجتك لها في اللغة المحكية أكثر. و هي قريبة إلى المفردتين
الإنكليزيتين to let , to make . مثال: لا تُخْلِيهَا تبكي. و هناك كلمة لَسَا التي بالفرنسية il est encore ,
pas encore .

و طبعاً بالإنكليزية still now , not yet . مثالان: الولاد لَسَا ما رجعوا من المدرسة - المَحَل لَسَا فَاتِح.
في النتيجة نصل إلى أن العامية تملك 16 زمناً من الأزمنة الأكثر تعقيداً (طبعاً يوجد مثل لها في الفصحى و لكن
بتركيب مُختلف) فالأزمنة الفرنسية و ما يقابلها بالإنكليزية موجودة في هذه العامية. مثلاً:
le futur proche يكون راح التَكسي لَمَّا منَطَلَع من المَطعم.

و كذلك يوجد (le conditionnel passé, le conditionnel présent)

و كذلك أيضاً (le subjonctif passé, le subjonctif présent) و غيرها.

إن طالب تعلم العامية في هذا الكتاب سيتعجب كما تعجبت أنا من اكتشافي هذا الكم من الأزمنة و الفوارق
الدقيقة بينها، و لكأنك تأخذ آلة التصوير و تصوّر الزمن في كل لحظة يتحرك الفاعل فيه.

إذن تتميز العامية بتعدد أزمنتها، أما مفرداتها فمعظمها من الفصحى.
وختاماً أما جوهر العامية فيمكن في لبها حيث يُبَع الزّمن الحاضر، ولا يبلغ المتكلّم بها درجة الإتقان إلا إذا عرف كيفية العزف على عمّ و تارةً على اسم الفاعل خلال تواصله في هذه اللّغة الغنيّة.
فسرّ إتقان ممارسة الحاضر و فواعده هو سرّ الحكاية !!